

صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي عبر الدراسات العربية والغربية

The image of Islam and Muslims in Western media through Arab and studies Western

قانة حسينة

أستاذة محاضرة

كلية الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3

البريد الإلكتروني: hassinagn@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/02/20 تاريخ القبول: 2019/02/21 تاريخ النشر: 2019/01/15

الملخص:

هدف البحث إلى رصد بعض الانتاجات الفكرية العربية، من كتب ودراسات ومقالات، والتي تناولت بالبحث تداول وسائل الإعلام الغربية، الأوروبية والأمريكية بخاصة، للقضايا المتعلقة بالإسلام والمسلمين بهدف دراسة الصورة الذهنية المنمطة من طرف هذه الوسائل تجاه الإسلام وما تقدمه لمجتمعاتها من صور سلبية وقائمة بغرض التشويه خدمة لمصالح الغرب، بحيث تم التطرق إلى واقع المتخيل الغربي تجاه الإسلام، ثم التفصيل في أهم الدراسات التي تناولت صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ثم التطرق في الأخير إلى تناول الإعلامي الغربي لقضايا المرأة المسلمة لما يحملها هذا الموضوع من أهمية بالغة، فقضية المرأة من القضايا التي كثيرا ما يتحاور فيها التيار الإسلامي فيما بينه أو فيما بينه وبين غيره وخاصة التيار العلماني المدعوم فكريا من الغرب والذي يدعى التضييق على المرأة من طرف التيار الإسلامي. لذلك كان لابد من إدراج هذا العنصر ضمن هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الإسلام، الإعلام الغربي، الدراسات الإسلامية، الصورة النمطية، قضايا المرأة.

Abstract:

The aim of the research was to monitor some of the Arab intellectual productions, books, studies and articles, which dealt with the circulation of the Western, European and American media in particular to issues related to Islam and Muslims in order to study the mental image of these methods towards Islam

and the negative and gloomy images of their societies In order to serve the interests of the West, so it was addressed to the reality of the Western imagination towards Islam, and then detail in the most important studies that dealt with the image of Islam in the Western media, and then addressed in the latter to Western media attention to issues of Muslim women.

Keywords: islam ; western media, islamic studies; stereotyping, women's issues

مقدمة:

العالم الإسلامي أو الأمة الإسلامية مفهوم يشمل كل المسلمين الذين يعيشون في الكرة الأرضية مهما شطت بهم الديار أو تباعدت بهم المناطق التي يسكنونها، والخريطة الإسلامية لا تتوقف عند حدود الدول بل تتعمق في قلب الدول غير الإسلامية التي يعيش فيها المسلمون كأقليات.

يُقدر عدد المسلمين في العالم بحوالي 1.8 مليار مسلم، وذلك وفقاً لدراسة أجريت في أواخر العام 2017م، وتشكل هذه النسبة ما يعادل ربع سكان العالم الحالي، يعيش 80% منهم في الدول الإسلامية في القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأوروبا، ويعيش 20% منهم كأقليات منتشرة في أنحاء العالم، إذ لا تكاد تخلو دولة واحدة من دول العالم من وجود المسلمين فيها، لهذا فهم يشكلون قوة بشرية لا يستهان بها مع يفرزه الواقع من معطيات كالموقع الجغرافي وتوزع الثروات الطبيعية وامتلاك مواد الخام ومصادر الطاقة المهمة عبر العالم ناهيك عن التزايد الديمغرافي المستمر، هذا ما يجعل الأنظار تتوجه إلى هذه البقاع من العالم بشكل خاص.

تقوم منابر التثقيف والتوجيه ومؤسسات التطبيع الاجتماعي في أي مجتمع بوظيفة أساسية هي صنع وتكوين الصور الذهنية لأفراد المجتمع والترويج لها في العقل الجمعي. وهذه الصور الذهنية قد تتحول إلى صور نمطية عندما تتكرر على نحو ثابت وجامد وتتسم بالتبسيط المفرط والحكم التعميمي العاطفي.

وتبرز وسائل الإعلام باعتبارها أهم وأخطر المؤسسات الاجتماعية التي تسهم بدور فاعل ومؤثر في صياغة الصور الذهنية والنمطية في العقل الجمعي للمجتمعات الحديثة. وتسهم في تشويه صورة الإسلام والعرب في المجتمعات الغربية.

سنحاول من خلال هذه الدراسة رصد مختلف الأبحاث والدراسات التي تناولت صورة المسلمين في الإعلام الغربي في مختلف القضايا التي لا تزال تشكل نقاط الصراع بين الشرق والغرب من خلال عينة من الكتب والمقالات والأبحاث العلمية والأعمال المنشورة للورش والمثليات التي وقعت بين أيدي الباحث من خلال البحث في الأوعية الورقية أو من خلال الأوعية الالكترونية على صفحات الانترنت، مع محاولة الإجابة على الإشكالية التالية:

- كيف تناولت الأبحاث والدراسات العربية والغربية صورة المسلمين في الإعلام الغربي ؟

سوف نحاول تفكيك هذه الإشكالية إلى عدة عناصر على اعتبار أنها من بين النقاط المهمة التي تم التعرض لها من خلال مضامين الانتاجات الفكرية محل الدراسة والتحليل، نستهلها في البداية بالمسار التاريخي للصورة المشكلة في الغرب عن الإسلام وأسباب أخذها للمنحى الذي هي عليه الآن و ما آلت إليه الأمور عبر وسائل الإعلام، مع ربط ذلك بالأحداث التاريخية التي تأثرت بها العلاقات بين الشرق والغرب. ثم نتطرق بالتفصيل لأهم الانتاجات الفكرية التي تعرضت لدراسة صورة المسلمين في الإعلام الغربي العربية منها والغربية، ثم لا بد من التطرق أيضا إلى تناول الإعلامي الغربي لقضايا المرأة المسلمة، ثم في الأخير نقدم أهم النتائج والحلول التي اعتمدها هذه الدراسات.

1- واقع المتخيل الغربي تجاه الإسلام:

جذور رؤية الغرب الراهنة للإسلام والمسلمين تعود إلى القرن الحادي عشر الميلادي الذي شهد بداية الحروب الصليبية والمراحل الأولى لنشأة الهوية الغربية الحديثة. والأوروبيين في تلك الفترة كانوا محاصرين بحضارة أكثر قوة وتقدما وهي الإسلام، وأنهم فشلوا في هزيمة هذه الحضارة خلال الحروب الصليبية كما رفضوا فهمها، لكنهم شعروا دائما بتهديدها الحضاري والديني لهم، لذا لعب الإسلام دورا أساسيا في تشكيل الهوية الأوروبية ومن ثم الغربية الحديثة. وعمد الأوروبيون إلى تشويه صورة منافسيهم (المسلمين) كأسلوب لتقوية صورتهم الذاتية عن أنفسهم، وبناء ثقتهم في مواجهة عدوا أكثر قوة وتحضرا.

ونظرة الغرب الحديثة للإسلام ولدت في فترة كانت علاقة أوروبا بالإسلام فيها هي علاقة خوف وقلق، مما دفع الأوروبيين لتعريف الإسلام تعريفا "ضيقا كاريكاتوريا" كدين يملئه "العنف والشهوة" يقوم على "الجهاد العنيف" في الحياة الدنيا و"الملذات الحسية الموعودة" في الآخرة، كما نظروا للرسول محمد (ص) على أحسن تقدير على أنه واحد من اثنين، إما "قس كاثوليكي

فشل في الترتي في سلم البابوية" فقرر الثورة ضد المسيحية أو أنه "راعي جمال فقير تلقى تعليمه على يد راهب سوري" ليشكل دينا جديدا من "قشور العقيدتين المسيحية واليهودية". كما نظر الأوروبيون إلى حياة المسلمين الأخلاقية نظرة مزدوجة فمن ناحية نظروا إلى حجاب المرأة المسلمة كتعبير عن "السرية والقهر" والفصل بين الرجل والمرأة، وفي نفس الوقت نظروا للحجاب على أنه مصدر "فجور واستباحة أخلاقية مستترة" خلف الحواجز والأسوار. (علاء بيومي، 2004)

ويتغذى المتخيل الغربي المتشكل تجاه الإسلام منذ الخمسينات، من قوة وهيمنة وسائل الإعلام التي لا يمر يوم إلا وتتحدث فيه عن الموضوع، بسبب تلاحق الأحداث العنيفة لحركات التحرر الوطني والحركات الاحتجاجية والتمردية السائدة في المجتمعات الإسلامية العديدة والمتنوعة. وهذا الجهل بالإسلام لا يخص الأحداث الراهنة فحسب، ولكن حتى في ما يخص هذه الفترة القصيرة، حصل خلط خطير أدى إلى تشكيل المتخيل الغربي عن الإسلام، فكل المشاكل ذات الجوهر السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي ألحقت جميعها بالإسلام الذي ضخم كثيرا وأصبح المصدر والعقل الخالق لكل التاريخ المعاصر الخاص بعالم شاسع واسع يمتد من الفيليبين إلى المغرب الأقصى، ومن اسكندنافيا إلى إفريقيا الجنوبية، وهذه الممارسة اليومية من التهيج والتضخيم تزداد تعقيدا وراح الخلط بين الإسلام كدين والإسلام كإطار تاريخي لبلورة ثقافة وحضارة معينة يتأبد ويتعقد أو يتشعب إلى يومنا هذا. (محمد أركون، 1993).

وموضوع الإسلام والعلاقة مع الغرب ودور وسائل الإعلام، يعتبر من أكثر المواضيع تعقيدا التي تتناولها وسائل الإعلام". والموضوع محفوف بالكثير من الأفكار المسبقة.. (سمير اليوسف، 1997)

فقد حاول الإعلام الغربي المسلح بأقوى تقنيات الاتصال والتخلل والانتشار، رسم صورة مشوهة للغاية للإنسان العربي، بوصفه إنسانا هداما وميالا للعنف والغدر وسفك الدماء وكي يزيد هذا الإعلام في لي صورة الإنسان والحضارة العربية، راح الإعلام الغربي الذي تهيمن عليه الرساميل واللوبيات الصهيونية، يروج لفكرة خطيرة مفادها أن مسببات العنف العربي تقع ليس فقط في تاريخه وتراثه، وإنما تقع كذلك في دينه، وهكذا اشتملت الحملة الإعلامية لتشويه العرب حملة مرادفة لتشويه الإسلام ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم والفتوحات العربية الإسلامية المبكرة التي هزت أوروبا من أعماق أركانها.

وينبغي هنا التفريق بين الإعلام الأوروبي والإعلام الأمريكي ، فضلا عن ضرورة ملاحظة أن الإعلام الأوروبي وتحديدا الفرنسي والانجليزي لا يبتعد كثيرا عن الإعلام الأمريكي، إلا انه أقل وطأة. (فهيمة خليل العيد.2004)

وفي إطار استعراض صورة الإسلام في الإعلام الأوروبي نجد أن الخوف من الإسلام ليس بالأمر الطارئ أو الجديد غير أن هناك عوامل عديدة تزيد من هذا الشعور حاليا وتجعل الأوروبيين يرون في الإسلام خطرا كبيرا وتحديا اكبر أمام الغرب.

ولذلك كانت حصيلة تأمل نتيجة الدراسات الإعلامية التي تناولت صورة المسلمين في الوسائل الأوروبية المقروءة والمسموعة والمرئية سلبية في اغلب الأحيان مع وجود بعض التغطيات غير المتحيزة أحيانا ولكنها قليلة قياسا إلى الصورة غير الصحيحة عن المسلمين السائدة في الإعلام الغربي نتيجة المعالجات المغرضة. (الحوار المتمدن.2006).

2- أهم الدراسات التي تناولت صورة الإسلام في الإعلام الغربي:

هناك جملة من الدراسات الانتاجات الفكرية التي تناولت صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي أخذنا منها عينة نقدم فيما يلي أهم النقاط التي تناولتها:

حاول كتاب صورة الإسلام في الإعلام الغربي لمؤلفه الدكتور محمد بشاري أن يرصد الكيفية التي يتناول بها الإعلام الغربي قضايا الإسلام والمسلمين في ضوء الحملة المتصاعدة والتي تسعى لتشويه صورة العرب والمسلمين وهي الحملة التي تزايدت وتيرتها خاصة بعد إحداث 11 سبتمبر. وفي مستهل الكتاب يستعرض الكاتب بعض النماذج لصورة الإسلام في الإعلام الأوروبي منها ما ملخصه: إنه "في إطار تزايد موجة العداة للمسلمين في الإعلام الأوروبي يشير المؤلف إلى مجموعة من القضايا التي تعكس هذا التوجه ومن ذلك:

- ملف قضية الفتيات المحجبات، فتحت عنوان: هل هو صراع حضاري أم ماذا؟ تناولت مجلة "دير شبيغل" بهذا العنوان المستفز القضية وعدتها صراعاً يتفجر من جديد، متسائلة عما إذا كان هذا الصراع يهدد المجتمع المسيحي أو العلماني؟

- أما مجلة "الاكسبريس" فقد اختزلت موضوع الحجاب الإشكالي بعنوان: الحجاب المؤامرة.. كيف يتسلل الإسلاميون؟.. ويحوي الموضوع مفردات تثير فزعاً واضحاً لدى القارئ الفرنسي ومنها الأرخبيل الإسلامي، الجماعة الإسلامية المسلحة، تفشي الحجاب، والذي راحت كاتبة تصفه بأنه عملية إرهابية.

أما بالنسبة لقضية المرأة فإزاء التناول غير المحايد للإعلام الغربي لهذه القضية إلى حد أن أصبح أول ما يتبادر إلى ذهن الإعلامي الفرنسي في أثناء تناول موضوع المرأة هو تعدد الزوجات المشروع في الإسلام والممنوع في الدستور الفرنسي. (محمد البشاري. 2004)

- ثم ينتقل المؤلف إلى جانب آخر يتمثل في تشويه مفهوم الجهاد في الإعلام الغربي، ومن ذلك تأكيد البعض على أن الإسلام هو دين حرب. وأصبح يكفي أن تتم الإشارة في أي مقال لمصطلح الجهاد مقرونة بترجمة في اللغة الفرنسية «الحرب المقدسة» لكي تثار الزوابع والهواجس والمخاوف. ولا يتطلب الأمر أن يكون هناك حدث ذو دلالة لكي يتم التخويف من الإسلام، وإنما أصبح ينظر إلى كل ما يتعلق بالمسلمين على أنه كذلك.

- ويجول المؤلف في الإعلام البريطاني ضمن جولته في الإعلام الأوروبي فيشير إلى أن الصورة لا تختلف كثيراً عن طبيعة الصورة الموجودة في باقي الدول الأوروبية، والتي تصنف الإسلام بالدين البدائي والإرهابي وأنه الدين الذي يتعارض مع الحضارة والبدل عن الشيوعية وأيديولوجياتها خاصة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي". (البشاري. 2004)

وتوصل الخبراء المشاركون لملقى لوغانو بسويسرا عن دور الإعلام والعلاقة بين الغرب والعالمين العربي والإسلامي إلى تأكيد انحراف الإعلام الغربي بتركيزه على إظهار الصور السلبية عن الإسلام. ففي معرض تقييمه لطريقة معالجة الإعلام الغربي للإسلام ولأحداث العالمين، الإسلامي والغربي، أوضح (كاي حافظ)، الخبير في وسائل الإعلام الألمانية، بأن "وسائل الإعلام الغربية تركز على قضايا تصف الإسلام، ليس كدين، بل كإيديولوجية سياسية: أصولية وإرهاب واضطهاد المرأة وتخلف اجتماعي كبير". وذكر الخبير الألماني بأن "دراسة تم القيام بها في جامعة إيفورت، عكست في 80% مما تناقلته وسال الإعلام، هذه الصورة السلبية عن الإسلام"، وأضاف كاي حافظ، "المشكلة لا تكمن في تغطية الصور السلبية عن الإسلام، بل في تجاهل كل الأوجه الأخرى له"، ثم انتهى إلى القول "عندما تركز وسائل الإعلام على العنف، يجيب الجمهور بكرهه للإسلام أو ما يسمى بالإسلاموفوبيا".

الخبيرة الألمانية وصاحبة دراسات عن واقع الإعلام الغربي والعربي، (كاتارينا نوتسأولد) من جامعة إيفورت بألمانيا، ترى بدورها أنه من بين التعقيدات التي ساهمت في هذا الانحراف "نقص المعرفة بالإسلام" الذي "يحول دون قدرة الصحفي الغربي على التمييز بين التعاليم الإسلامية والتقاليد في المجتمعات الإسلامية" إضافة إلى "التحديات التي أدخلت على حرية الصحافة فيما سمي بالحرب ضد الإرهاب".

وفي دراسة قام بها أستاذان بجامعة "أرفورت" الألمانية، حول "صورة الإسلام في الإعلام الألماني" من خلال متابعتهم ورصدهما للبرامج التي تطرقت للإسلام في قناتي "ZDF" و "ARD"، وقد بلغ عدد البرامج التي تناولتها الدراسة بالبحث 22 برنامجا في قناة "ARD"، و15 برنامجا آخر في قناة "ZDF"، ووصل عدد الحلقات المتعلقة بالإسلام إلى 133 حلقة.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى: "أن تناول الإسلام في المجالات الإذاعية، والبرامج الحوارية والوثائقية، والتقارير التي تبثها قناتا "تست ديه إف" و "أه إرده" يتم بصورة سلبية، تظهر الإسلام بصفته خطرا داهما، ويسبب العديد من المشاكل في المجتمع والسياسة فيما يزيد عن نسبة 80% من المواد الإذاعية.

إن الإسلام من خلال قناتي "ZDF" و "ARD" يبدو وكأنه قمة العنف والصراع، مما يعطي للمشاهدين الألمان انطباعا بأن الإسلام لا يعتبر ديننا وشريعة، بقدر اعتباره فكرا وأيديولوجية سياسية مجتمعية، تتعارض وتتصادم مع القيم والآداب الغربية.

وفي دراسة نشرها عبد الكريم بوفرة، تتبع فيها أنواع الإساءات التي ألصقت بالإسلام والمسلمين في الصحافة الفرنسية، وذلك من خلال عناوين أغلفة بعض الجرائد والمجلات، وقد جاءت هذه الدراسة طافحة بكل أشكال الطعن والتشويه والأزدراء لكل ما هو إسلامي.

ومن هذه العناوين:

- تونس - الرباط - الجزائر - دكار - أبيدجان - ياواندي...هل يجب إصلاح رمضان؟ تحقيقات حول شهر مقدس"

"-العنكبوت الإسلامية تنسج خيوطها في أوروبا: فرنسا- بريطانيا- تركيا- ألمانيا"

-الإسلام مقاومة التطرف تسليمة نصرين تحاور ثلاث نساء محجبات".

-الحجاب المؤامرة: كيف يتغلغل الإسلاميون في فرنسا؟"

أما عن الصورة الراهنة للإسلام والمسلمين في الولايات المتحدة هي نتاج تراكمات ثقافية وحضارية تكونت عبر قرون تعود - كما يرى بعض المؤرخين - إلى فترة الحروب الصليبية ذاتها، مروراً بعصور الاستعمار الأوروبي ونشأة أمريكا، ووصولاً إلى الفترة التالية للحرب العالمية الثانية ثم المرحلة الراهنة وتبعات أحداث الحادي عشر من سبتمبر الخطيرة على صورة الإسلام والمسلمين في الولايات المتحدة.

تناول كثير من المفكرين العرب موضوع الصورة الشائعة وصورة العربي والإسلام في الصحافة الغربية، ومن الكتب المبكرة التي تناولت هذه القضية كتاب للمفكر العربي "إدوارد سعيد" بعنوان (تغطية الإسلام)، حاول فيه أن يوضح بعض الجوانب التي تتعلق بالصورة النمطية للشرق في الخطاب الغربي من خلال قراءة لهذه الصورة في الحقبة الاستعمارية منذ نهاية القرن الثامن عشر، ومن خلال التعاون مع المسألة الفلسطينية والبحث في صورة الإسلام. يتناول سعيد كيف تأسست تلك الصورة من حيث أنها إنتاج معرفي تم في سياق علاقة إلحاقية ما بين المعرفة والسلطة التي تنظم حياة منتج هذه الصورة وموضوعها وهي حسب سعيد غير بريئة من املاءات سياسية... ويرى أيضا أن كل معرفة هي استجابة واعية أو لا واعية لاملاءات سياسية وهو بذلك يبطل زعم الموضوعية التي يزعمها المستشرقون والخبراء في شؤون الشرق الوسط والإسلام. أي ادعاءهم بأن ما يحفزهم على إنتاج وقول ما يقولون فيما يتعلق بالشرق والإسلام إنما هو حصيلة فضول علمي ومعرفي واستجابة لزعمة المغامرة التي وسمت حياة الكثير من الباحثين والرحالة والمغامرين الأوروبيين. (سمير اليوسف)

ويرى إدوارد سعيد في سلسلة من مؤلفاته على رأسها الاستشراق (1978) أن معرفة الغرب للإسلام في هذه المرحلة كانت بغرض السيطرة عليه وليس فهمه، وأن عملية المعرفة هذه تمت بشكل منظم نسبيا تعاونت فيه مؤسسات الفكر والمعرفة الأوروبية تعاوننا وثيقا مع مؤسسات الاستعمار الأوروبية الرسمية لمدها بالمعرفة اللازمة للسيطرة على المجتمعات المستعمرة. (ادوارد سعيد، الاستشراق. 1981).

وخلال هذه المرحلة نظر الغرب للشرق - بما في ذلك العالم الإسلامي - بأسلوب أصبح الآن نموذجاً يدرس عن التشويه المتعمد الذي يمكن أن تقوم به حضارة ما لصورة حضارة أخرى، ومن أهم عناصر هذا الأسلوب ما يلي:

- أولا: النظر للشرقي أو للمسلم على أنه الآخر المستقل تماما عن الأنا أو الذات الأوروبية.
- ثانيا: تنظيم علاقة الأوربي مع الآخر من خلال سلسلة من الثنائيات الفكرية يضع كل منها الآخر الشرقي أو المسلم في مقابل الأنا الأوربي على طرفي نقيض في مختلف جوانب الحياة، فعلى سبيل المثال تم النظر للشرقي على أنه متخلف وحشي في مقابل الغربي المتقدم المتحضر، كما نظر الغربي للشرقي على أنه جاهل فقير في مواجهة الغربي المتعلم الثري، كما رأى الغربي الشرقي على أنه داكن ضعيف في مقابل الغربي الأبيض القوي. (ادوارد سعيد)

وفي اعتقاد ادوارد سعيد أن الصورة الاستشراقية للشرق وصورة الإسلام وفق ما دأبت عليه وسائل الإعلام الأمريكية على إنتاجها وترويجها، لا تختلف في مضمونها وان تباينت في أشكالها وسبل إنتاجها، منذ العهود الاستعمارية الأولى وحتى لحظة التماس مع الإسلام السياسي، ويعلق (ادوارد سعيد) قائلاً: أن الإسلام بالنسبة لهؤلاء - "يعني نهاية الحضارة الغربية باعتباره ديناً لا إنسانياً وغير ديمقراطي، ولا عقلائي" ولذلك فإن الإسلام - في نظر هؤلاء - يمثل تهديداً ينبعث من حركة ناهضة لا تحمل خطر العودة إلى القرون الوسطى فحسب، بل تدميراً للنظام الديمقراطي في العالم الغربي." ويضيف بالقول إن "هذه النظرة للإسلام تتفق مع التفكير الاستشراقي الذي رسخ الاعتقاد بأن "الإسلام" لا يمثل منافساً رهيباً فحسب بالنسبة إلى الغرب بل انه يمثل كذلك تحدياً متأخراً للمسيحية". (ادوارد سعيد، تغطية الإسلام، 1984)

وحاول سعيد تجلي صورة الإسلام في الخطاب الغربي المعاصر، وحاول في تحليله أن يبرهن على الحديث عن الإسلام ككتلة صماء متماسكة والأهم من ذلك كمصدر قلق عام وخوف شامل إنما هو محاولة طمس وإخفاء لا كشف وإنارة.

وذكر في كتابه أن هذه التغطية تنحو منحى التعميم والاختزال تقوم بالضرورة على الإحالة إلى ما هو قائم في الواقع، أي أنها تقوم باستبدال الواقع والمعقد على الإحاطة بجملة الصور المثيرة التي تجذب عدسة الكاميرا. وان الإحالة التي يقدمها الإعلام الأمريكي للإسلام من خلال الصور والرموز والتصورات والمفاهيم التجريدية المعزولة عن الواقع لا تختلف عن تلك التي تقدمها النظم الإسلامية وحركات الإسلام السياسي له، وما يجري هو اختزال الأمريكي والأوروبي للإسلام إلى صورة مسجد بمنذنة واقفة أو جماعة مسلمين رافعين أذرعهم باحتجاج وغضب، فالإسلام بمثابة جماعة غاضبة عدلاً أو جوراً لا تاريخية تعلق على شروط الزمان والمكان. (تيسير مشاركة).

وقد وجه إدوارد سعيد نقداً واسعاً للمؤسسات الأكاديمية الأمريكية فيما يتعلق بأسلوب دراستها للإسلام في كتابه "تغطية الإسلام: كيف يحدد الإعلام والخبراء رؤيتنا لبقية العالم" (1997)، ويقول سعيد في كتابه أن برامج دراسات الإسلام بالجامعات الأمريكية تحدها في الغالب "الضغوط المعاصرة الملحة" المسيطرة على العلاقة بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي، كما يهيمن عليها عدد من الأفكار العامة المنعزلة عن الواقع وعماد دور في العلوم الاجتماعية الأمريكية الأخرى. (علاء بيومي)

كتب إدوارد سعيد في 2 أغسطس 2003 في جريدة الجارديان البريطانية يقول "قد أتمنى أن أقول أن الفهم العام للشرق الأوسط وللغرب وللإسلام في أمريكا قد تحسن (بعد 9/11)، ولكنه في الحقيقة لم يتحسن"، وأضاف سعيد قائلاً أن رفوف المكتبات الأمريكية بعد 11 سبتمبر امتلأت بكتب عن الإسلام ولكنها كتب سيئة "مليئة بعناوين رئيسية صارخة عن الإسلام والإرهاب والتهديد العربي والخطر الإسلامي".

كما امتلأت الأسواق الأمريكية بكتابات عدد من أكثر الكتاب الأمريكيين تطرفاً في موقفهم من المسلمين والعرب مثل دانيال بايبس - مؤلف كتاب "الإسلام المسلح يصل أمريكا" (2003) - وستيفن إمرسون - مؤلف كتاب "جهاد أمريكي: الإرهابيون الذين يعيشون وسطنا" (2003) - والذين روجوا لنظرية أن المسلمين والعرب المقيمين في أمريكا والغرب هم أعداء مقيمين بالولايات المتحدة يتحينون الفرص للانقضاض عليها ومن ثم يجب السعي لمراقبتهم والتضييق عليهم وتهميش منظماتهم. (المرجع نفسه)

ومن الصور الشائعة والنمطية التي تروجها أجهزة الإعلام الغربية ما حددته الباحثة المصرية عزة عزت في كتابها (صورة العرب في الغرب) في النقاط التالية: "وصف العرب بالسذاجة والبلاهة والسفه... التركيز على المساوئ الشخصية للعرب كأفراد أثرياء مسرفين إلى حد الجنون والجنس هو محركهم الأول، ووصف العمل الفدائي انه إرهاب. (تيسير مشاركة) ويقول د.عبد القادر طاش متحدثاً عن التأثير السلبي الذي تحدثه السينما في الغرب "لقد بدأت السينما منذ مراحلها الأولى في تشويه الشخصية العربية عندما ظهرت في العشرينيات، من أفلام سينمائية تصور العربي في صورة شيخ شبق جنسياً، لا يعرف سوى النساء، وكانت صورة العربي مقترنة دائماً بالجمل والصحراء والبدواة، وبعد قيام الكيان الصهيوني في فلسطين، حفلت فترة الأربعينيات والخمسينيات بعدد من الأفلام السينمائية، التي تصور العربي بأنه رجعي، متعصب، ماكر، كاذب، لا ذمة له، نهم جنسياً وكسول. ومن أهم أفلام هذه المرحلة "لص بغداد" و"كابتن سندباد" و"الصليبيون الجبابرة" و"هجوم الصحراء" و"وطيران العنقاء" (عبد القادر طاش، 1993)

ونقل عن (جاك شاهين)، وهو احدث الباحثين اهتماماً بصورة العرب في الإعلام الأمريكي، أنه انصرف منذ عشرين سنة إلى تاريخ الصورة السائدة في الثقافة الشعبية الأمريكية، فدرس ما يزيد عن 250 كتاباً هزلياً ظهر خلال 50 عاماً، كما حلل مئات البرامج والرسوم الكاريكاتورية التي عرضت على شاشات التلفزيون، وأفلام رسوم متحركة يفوق عددها 450 فيلماً، ويخرج

شاهين من كل ذلك بالقول: "دلت أبحاثي على أن كلمتي "عربي" و"مسلم" تثيران ردود فعل عدائية يصعب معها على الجمهور أن يميز الحقيقة من الخيال. وربما لم يتعرض أي شعب في العالم نتيجة هذا المدى من سوء الفهم كما يتعرض الـ 270 مليون عربي، كما قد يكون الإسلام الذي يعتنقه ما يزيد عن بليون إنسان بينهم 6-7 ملايين أمريكي، أكثر الأديان معاناة من جهل الآخرين بحقيقته". ويشير (شاهين) إلى أن "هوليوود وهي مدينة السينما الأمريكية، قدمت منذ حرب الخليج ما يزيد عن ما يزيد عن 40 فيلم، وغالت كل هذه الأفلام في تشويه صورة سمعة العرب إذ عرضت شريطاً لا ينتهي من الصور التي يبدو فيها العرب أشبه بشعوب منقرضة لشدة تخلفهم، ويمثلون في الوقت ذاته خطراً رهيباً يهدد الآخرين، ولم تروح عن نفس الجمهور براءة، بل وجهته إلى الكراهية هذا ومحبة ذاك". (عبد القادر طاش. 1993)

لقد انتقلت كاميرات السينما العالمية إلى العديد من أقطار العالم الإسلامي، وحشدت الميزانيات الضخمة لتشكل الصورة التي ترونها عن الإسلام في أفلام غالباً ما تتلاعب بالمواقف لإدانة الشخصية الإسلامية بدلاً من محاولة تعمقها وفهم جذورها التاريخية. وكل هذه الأفلام ظهر في ظل إمكانات مذهلة، وتوجهات فكرية متأثرة بموجة الأفلام الغربية التي اندلعت في العالم للهجوم على الشخصية الإسلامية، ومستجيبة من ناحية لرغبات السينمائيين في تقديم موضوعات عن العنف والإرهاب السياسي، أما فيما يختص بالأفلام التي تعاملت مع موضوعات ما يسمى بالإرهاب الإسلامي فإن كفة أفلام التلفزيون الطويلة كانت هي الراجحة، وهذا النوع من الأفلام نجح في حشد ملايين المشاهدين في الولايات المتحدة ضد ما يسمى بالإرهاب الإسلامي. (احمد رأفت بيجت. 1995)

ومن أحدث الإساءات الإعلامية للإسلام والمسلمين: الفيلم: السينمائي الهولندي (فتنة)، والرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم التي نشرتها صحيفة دانمراكية...

ولقد أتاح هذا المناخ المعادي للعرب والمسلمين انتشار الاتصال والدراما التلفزيونية التي تبرزهم في صور سلبية للدرجة التي وزعت فيها إحدى دور النشر الغربية كتاباً للقاص جيرارد فيليير Gerard Villier يقول فيه: إن الجنس العربي هو أسوأ الأجناس قاطبة.

أما كتاب التهديد الإسلامي (الوهم والحقيقة) لجون اسبوسيتو في عام 1997 فقد قوبل بعاصفة من الهجوم لأنه قدم تحليلاً موضوعياً عن الإسلام وأوضح أنماط وصور التشويه الذي يلحق بالإسلام والمسلمين من قبل الغرب.

3- التناول الإعلامي الغربي لقضايا المرأة المسلمة:

أما بالنسبة لقضية المرأة فإزاء التناول غير المحايد للإعلام الغربي لهذه القضية إلى حد إن أصبح أول ما يتبادر إلى ذهن الإعلامي الغربي في أثناء تناول موضوع المرأة هو تعدد الزوجات المشروع في الإسلام والممنوع في الدساتير الغربية.

أما صورة المرأة المسلمة في الإعلام الغربي فتبرز كأداة توظف في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وقد ساعد في ذلك اجتماع كل من مصالح الآلة الإعلامية الضخمة التي يسيرها النفوذ الصهيوني مع أهداف المنتميات للحركة الأنثوية الغربية في تقديم صور نمطية مشوهة للمرأة المسلمة.

وفيما يلي عرض لأهم النقاط التي توصلت إليها الدكتورة نورة بنت عبد الله بنت عدوان في بحثها المقدم عن صورة المرأة في الإعلام الغربي عبر تحليل العديد من مقالات الكتاب والصحفيين الغربيين ورؤيتهم للمرأة المسلمة: (نوره بنت عبد الله بن عدوان، 2006)

أصبحت المرأة المسلمة بالنسبة للصحافيات الغربيات نموذج التخلف ونموذج الاضطهاد" وهناك هجوم مكثف للكاتبات الغربيات على المرأة المسلمة، وأن هذه الهجمة تتسم بالمبالغة والطرح المتشدد الذي يفتقد الموضوعية بتصويره تلك المرأة ضحية لما يسمى بالإرهاب الإسلامي، إن المرأة المسلمة في نظر هؤلاء الصحفيين يجب أن تخلص من هذا الدين وعندما تتخلص منه فسوف تتخلص من الحجاب الذي يغطيها من رأسها إلى قدميها".

إن هذا الهجوم من قبل الغرب في الإعلام على المرأة المسلمة غير مبرر، وذلك كون المرأة الغربية تعاني الكثير من المشكلات، وتتساءل لماذا لا توجه الأقلام الغربية لحل مشاكل المرأة الغربية بدلاً من توجيه النقد والهجوم إلى المرأة المسلمة. فقد انتقدت قناة CNN حكومة كشمير في تطبيقها لأحكام الشريعة وذلك بإغلاق محلات بيع الكحول ودور السينما ومطالبة النساء بالالتزام بالحجاب الشرعي. وفي هذا المثال كما في غيره، تكشف الدعوة الصريحة لهذا الإعلام في معظم أدبياته إلى إلغاء الدين من حياة المرأة المسلمة.

ومن خلال المعطيات السابقة، حيث تجسد بكل وضوح عدم المصادقية والنمطية، هناك بعضاً من المعايير التي ينطلق منها هذا الإعلام في تناوله لقضايا المرأة المسلمة، ويظهر المنهج الغربي الانتقائي غير الموضوعي بكل وضوح عندما تهمل نتائج التنمية التي تحققت للمرأة، ويكون التركيز بالدرجة الأولى عند الحديث عن المرأة على عباءتها دون الإشارة إلى أن هذه

العباءة لم تمنعها من العمل في التدريس والطب وإدارة البنوك، والتسويق وتقنية المعلومات والتجارة وغيرها مما يشهد به واقع التنمية في بلادنا.

ولابد من التأكيد على أن معظم ما يقدم من تحقيقات ومقالات حول المرأة المسلمة لا يتجاوز التركيز فيها التبعية الثقافية ومحاربة القيم الإسلامية. ولعلنا جميعاً لاحظنا قنوات CNN، وBBC NEWS عندما سلطت الأضواء حول معاملة طالبان للمرأة في أفغانستان حيث كان محور اهتمامها الوضعية الثقافية والاجتماعية للمرأة المرتبطة بدينها وقيمها وتقاليدها حين احتفلت بالمرأة المحررة من الحجاب بعد ذهاب الطالبان أما ما أفرزته الحرب الأمريكية في أفغانستان من معاناة مريرة لملايين النساء الأفغانيات والحياة القاسية المثقلة بالخوف والمرض والجوع، وقضاء فصل الشتاء بأكمله في مخيمات أشبه ما تكون بمخيمات الموت، كل ذلك لم يشكل محور اهتمام لوسائل الإعلام الغربية، ومن ثم تناوله الأخبار بصورة سريعة وعابرة.

إن ازدواجية المعايير من الأمور المعروفة على نطاق واسع عند الإعلام الغربي في تعامله مع قضايا المسلمين بصفة عامة، وفي شأن المرأة المسلمة علي وجه الخصوص، ولعلنا نتأمل المفارقات العجيبة في ازدواجية المعايير والتي تظهر تحيز الإعلام الغربي في تعامله مع القضايا عندما يتعلق الأمر بالإسلام والمسلمين.

4- نتائج الأبحاث والدراسات والحلول المقترحة:

أشارت العديد من هذه الدراسات إلى أن سبب تفاقم هذه الظاهرة يعود بالأساس إلى قصور الخطاب الإعلامي الإسلامي الموجه للغرب مما يتطلب ضرورة انفتاح العالم الإسلامي على العالم العربي وعلى حقائق العصر مع الحفاظ على ثوابت الأمة وتقاليدها وأن يُشكل المسلمون في الغرب قوة ضاغطة ترفع صوتها مدافعة عن دينها وصورتها وهويتها.

والآن أصبح إنشاء قنوات إسلامية فضائية تخاطب الغرب بلغته وتعطي صورة شاملة عن الثقافة الإسلامية وتسهم في تصحيح صورة العرب والمسلمين أمراً ملحاً لا يحتاج إلى تأجيل، فنحن لدينا الكثير من القنوات الفضائية العربية والإسلامية ولكنها لا تخاطب الرأي العام العالمي بلغة يفهمها، ومن ثم فلا بد من إنتاج برامج تخاطب الغرب باللغات الأجنبية، ولابد من امتلاك وسائل القوة وتوفير الإرادة والعمل المتواصل والاتفاق على خطة شاملة إذا أردنا تصحيح صورتنا لدى الغرب. ولأهمية هذه القضية التي نحن بصددتها ينبغي التركيز على المحاور التالية:

1- التعرف على صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية والأجنبية.

2- تفعيل دور الإعلام الإسلامي في تحسين صورة الإسلام والمسلمين.

- 3- طرح رؤية مستقبلية في مواجهة تشويه صورة الإسلام والمسلمين.
- 4- التعرف على تأثيرات العولمة في تشكيل الصورة الذهنية عن الإسلام والمسلمين.
- 5- تفعيل دور الاتصال المباشر في مواجهة الصورة السلبية عن الإسلام والمسلمين.

تواجه الجهود التي تبذل لتحسين صورة العرب والمسلمين في المجتمعات الغربية تحديات متزايدة، وبصفة خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية، وما أعقبها من اتهامات مباشرة للمسلمين والعرب ليس فقط بمساندة الإرهاب الدولي، ولكن باعتبارهم يوفرون تربة مناسبة تنمو من خلالها جذور الإرهاب الذي يهدد المصالح الغربية .

غير أنه من جانب آخر هناك بعض المفكرين الغربيين الذين عرفوا حقيقة الإسلام يقومون بجهد أكبر بكثير من المسلمين سعياً لتحسين صورة المسلمين في العقلية الغربية، ومن أبرزهم البروفيسور (جون اسبوزيتو) مؤسس ومدير مركز التفاهم الإسلامي المسيحي في جامعة (جورج تاون) في العاصمة الأمريكية واشنطن. وأستاذ الأديان والعلاقات الدولية والدراسات الإسلامية، وعمل مستشاراً لوزارة الخارجية الأمريكية ولكثير من مجالس الجامعات والمؤسسات الإعلامية الدولية باعتباره متخصصاً في الإسلام والحركات الإسلامية من شمال إفريقيا إلى جنوب شرق آسيا.

فهو يرى أن الصورة في هذه الأيام أكثر توازناً وأكثر تعقيداً مما كانت عليه في الستينات. فالיום يعتبر الإسلام موضوعاً في المدارس وفي الجاليات، وهناك مسلمون في أوروبا وأميركا كمواطنين، ولكن في الوقت ذاته، هناك صور سلبية ضد الإسلام. تعكس في وسائل الإعلام، وهناك من جانب آخر صور سلبية تسبب فيها أحداث في العالم الإسلامي وفي الغرب، ويعتقد أن هناك أسباب كثيرة لذلك منها أولاً: لم يكن هناك أي التزام حقيقي لتغيير الصورة، بمعنى التزام من المسؤولين، ثم نقص الموارد المالية، وثانياً: أن يكون هناك تبادل للبرامج، ويكون لنا أثر على صنع القرار، ويكون لنا أثر على الجمهور، وهذا يقتضي وجود التزام شديد، ولا يمكن للأخرين أن يفعلوه، يجب أن يفعله أيضاً مجموعة من الملتزمين.(برنامج بلا حدود، قناة الجزيرة، 2001).

خاتمة:

بعد هذا العرض المفصل لأهم الانتاجات الفكرية التي تناولت صورة المسلمين في الإعلام الغربي والتي تركزت في المضامين الإعلامية التي أنتجتها الآلة الإعلامية الغربية منذ ستينيات القرن الماضي إلى الآن نستنتج أن هذه الانتاجات بينت أن وسائل الإعلام الغربية قد خلقت العديد من الصور الذهنية عن الإسلام والمسلمين، والتي كانت أغلبها صور سلبية مسيئة ومشوهة لمبادئ الإسلام وتاريخه العتيق ويعزى ذلك لقدرة وسائل الإعلام الغربية الفائقة على الإقناع والتأثير وتخزين الصور في الذاكرة الجمعية، مما ساهم في التغذية السلبية للمتخيل العام

للشعوب الغربية التي لا تجد مصادر أخرى غير ما يقدمه لها إعلامها. وليس من شك في أن المتلقي الغربي - في الغالب الأعم يقع تحت أسر العناوين أو الشعارات المغرضة، فينظر إليها باعتبارها مسلمات غير قابلة للشك أو الطعن. ومع تفاقم ظواهر الإسلام/الإرهاب، الإسلاموفوبيا وغيرها وجب النظر في محاولة تصحيح تلك الصّور الذّهنية عبر وسائلهم الإعلامية والقنوات الفضائية، والأعمال السينمائية، إضافةً إلى تفعيل عملية الوعي الجماهيري. وتنمية البحث في الإسلام خاصّة من قبل الباحثين الأجانب، وتشجيع المواهب والمهارات من أجل تغيير النظرة الغربية لهم، وتقديم صورة مشرّفة ومشرقة عن العالم الإسلامي والمسلمين.

. قائمة المراجع :

• المؤلفات:

1. ادوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981، ص 19-21.
2. ادوارد سعيد، تغطية الإسلام: كيف تتحكم وسائل الإعلام الغربي في تشكيل إدراك الآخرين وفهمهم، ترجمة سميرة خوري، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1983، ص36.
3. د. تيسير مشاركة، العربي وصورته في ظل العولمة و الفضائيات والانترنت، ص363.
 - a. د. محمد البشاري، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ط:1، دار الفكر، دمشق، 2004، ص 25.
4. د. كمال الدين عبد الغني المرسي، الخروج من فخ العولمة ، الطبعة الأولى ، المكتب الجامعي الحديث، 2002، ص189.
5. سمير اليوسف، ادوارد سعيد والتغطية الإعلامية للإسلام، القدس العربي، العدد 2615، (1997/10/04) ص 14.
6. عبد القادر طاش، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، الزهراء للإعلام العربي، ط الثانية، 1993 م، ص، 98.
7. محمد اركون، الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، لافوميك، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1993، ص36-39.

● المقالات:

1. احمد رأفت بهجت، الإسلام والمسلمون على شاشات السينما العالمية، مجلة العربي، العدد 339، يونيو، 1995.
2. عبد القادر طاش، نقلا عن جاك شاهين، حرب الخليج وصورة العربي في أمريكا، جريدة الحياة(لندن)، العدد 10989، بتاريخ 1993/3/14.

● المدخلات:

- 1- فهيمة خليل العيد، الدور الاستراتيجي للإعلام الإسلامي والعربي في المواجهة، مؤتمر القدس السنوي الثالث، إدارة الصراع الحضاري مع الصهيونية ، 2004.

● مواقع الانترنت:

- 2- <http://www.swissinfo.ch/ara/front.html?siteSect=105&sid=7639167&cKey=1174564316000&ty=st>
- 3- الحوار المتمدن، العدد 1422، من الرابط الالكتروني: 2006.
<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=54165#>
- 4- [د. نوره بنت عبد الله بن عدوان](#)، صورة المرأة المسلمة في الإعلام الغربي، من الرابط الالكتروني: <http://www.lahaonline.com/index.php?option=content§ionid=1&id=7730&task=view>
- 5- علاء بيومي، صورة الإسلام في أمريكا، الجذور والحاضر، من الموقع الالكتروني: <http://www.alarabnews.com/alshaab/2004/11-06-2004/18.htm>